المبحث الأول

فكرة الاعتقاد عند الفلاسفة اليونانيين

نحاول هنا أن نبرز فكرة الاعتقاد عند الفلاسفة اليونان، وكيف كانوا يفهمون فكرة الإله والغيب، حسب تصور أبي الحسن العامري. وفي الحقيقة فإن مفهوم الإله في الفلسفة اليونانية يتأرجح ما بين التنزيه المطلق لذات الخالق الموجد، وبعض المؤثرات الوثنية ونزعة التجسيد التي كانت شائعة عند اليونانيين، أو بمعنى أدق بين حقائق دينية ثابتة وراسخة في عقول البشر، وأفكار وضعية تواضع عليها البشر واتفقوا على قبولها في إطار حياتهم الاجتماعية، من مثل حاجتهم للآلهة، فهناك إله النماء، وإله الخير، وإله الشر، وآلهة الحرب وآلهة السلام وهلم جرا. "فتعاليم فيثاغورث الدينية مثلاً كانت "تدعو إلى حركة جديدة تأخذ من جميع التيارات الموجودة بطرف، فيها من طقوس بابل ومصر وآسيا ومن العقائد القديمة الموجودة عند اليونانيين إلى جانب العقائد السرية كالأورفية"*.

وقد حاول العامري أن يبين أن الفلاسفة اليونانيين كانوا إلهيين وموحدين، يؤمنون بوجود خالق وبارئ واحد للكون، بل يصل به الأمر إلى أن يرى أنهم استحقوا لقب الفلاسفة فقط لكونهم يختلفون عن جمهور الشعب اليوناني الذي يقول بتعدد الآلهة، بل يختلفون عن علوم اليونان السابقة عليهم والمعاصرة لهم، حيث يؤمنون بالذات العلية ويجلونها ويتأملون في الكون، كما أنهم يضعون فكرة الإله في أحسن تصور. ليس هذا فحسب بل إن العامري يرى أن هؤلاء الفلاسفة قد اكتسبوا معارفهم عن الله والغيب عن طريق رسل سابقين التقوا بهم أو التقوا بأتباعهم في الشرق أو الغرب، وسنحاول هنا أن نبرز فهم العامري لطبيعة الإله الذي كان يتصوره الفلاسفة اليونانيين.

---

* د. أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، تصدير الدكتور عاطف العراقي، ط 2009م، ص 78.

فقد حاول العامري في بداية بحثه لهذه النقطة أن يثبت أن الصلات التاريخية بين بلاد الشرق وبلاد اليونان كانت قوية، وذلك حين حاول سرد تاريخ بني أدم وممالكهم المسكونة على الأرض منذ القدم إلى عصره*. كل ذلك ليثبت أن التواصل الإنساني قائم، وكذلك تناقل الأفكار والرؤى في جميع المجالات، وبصفة أخص في مجال الدين الذي توارثه الإنسان الأول. كما يبين العامري أن هذا التواصل كان متيناً في مجال الإلهيات على وجه الخصوص، والتي من أجلها بحث الإنسان وبرع في العلوم المختلفة.

في البداية يذهب العامري إلى أن الفيلسوف هو من برع في علم التقادير الهندسية، وهو من تمهر في علم الطبائع وحذق علم قوانين المنطق واقتدر بهؤلاء جميعاً على تحقيق المعاني الإلهية†. ولولا البحث عن تحقيق تلك المعاني الإلهية ربما ما اجتهد أحد من الفلاسفة الكبار الذين بلغوا الكمال في العناية لإثبات الصانع الأول. بل يذهب العامري إلى أن كل الأمم كانت لها صلة بالوحي مباشرة وغير مباشرة، خلا الصين والترك وخراسان‡. ومع أن العامري يعد أحد المدافعين عن الوحي بقوة فإن الآية القرآنية التي يقول فيها الله عز وجل: "إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ"§ تغيب عن وعيه، أو ربما قصد العامري أن النذير ربما يأتي بطريقة غير مباشرة وليست بالضرورة عن طريق النبوة. لهذا يقول: إن اليونانيين كان بعضهم يختلف إلى أنبياء بني إسرائيل، كما أنهم كانوا مجاورين للشام، وكان بنو إسرائيل من سكان الشام**.

ومن هنا فاليونانيون -حسب رؤية العامري- كانوا على صلة بالوحي غير

---

* العامري الأمد على الأبد، ص 66-86.

† العامري، السابق، ص 62.

‡ العامري، السابق، ص 67-68.

§ سورة فاطر، آية 24.

** العامري، الأمد على الأبد، ص 68.

مباشرة، ولهذا فهم يقرون بالصانع جل جلاله، ويوقنون بالثواب الأبدي بعد الموت و"اعتقادهم في المعاد كان في صورة المعاد يخالف الملة الحنفية بنكته واحدة، وهي أنهم لم يكونوا يعترفون بالبعث والنشور، لكن كانوا يوجبون المثوبة الأبدية لمجرد الأرواح البشرية. ولهذا ما حكم الإسلام على جماعتهم بالغي والضلال. أما إثبات الصانع في وحدانية ذاته، ونفي الأنداد والأضداد عنه، فشيء قد أذعنوا له وأوردوا البراهين عليه"*.

ليس هذا فحسب بل يذهب العامري إلى أن سقراط قد اقتبس الحكمة من فيثاغورث الذي اقتبس الحكمة من مشكاة النبوة وأتباعها. فسقراط لم يلتق مباشرة بفيثاغورث، بل التقى بأفراد من جماعته التي أسسها، ويذهب العامري كذلك إلى أن سقراط "اقتبس الحكمة من فيثاغورث؛ واقتصر من أصنافها على المعالم الإلهية وأعرض عن ملاذ الدنيا وأعلن الخلاف في الدين عن اليونانية، وقابل رؤساء ذوي شرج بالحجاج والأدلة، فثوروا الغاغة عليه، وألجأوا ملكهم إلى قتله، وأودعه الملك الحبس تحمداً إلى جماعتهم، وسقاه السم تفادياً من شرهم، وقصته معروفة بالأخبار المتواترة"†. ومن هنا فالعامري يدلل على أن هؤلاء الفلاسفة كانوا يقرون بوجود الله، وأنهم كانوا على الدين الحق بالرغم من أن المجتمع اليوناني كان يدين بالوثنية.

ثم يتحدث العامري عن أفلاطون 429 ق. م. 348 ق. م. ليثبت أنه لم يتصف بالحكمة إلا بعد اعترافه بوجود الصانع، وكان يتحدث عن أفلاطون حديث الخبير بقصة حياته ومؤلفاته وآرائه، فيذكر أنه جاء بعد سقراط، وأنه كان شريف النسب وقد وافق كل من سقراط وفيثاغورث في اقتباس الحكمة، ويعني بالحكمة الاعتراف بوجود إله واحد، غير أنه زاد على هذين الفيلسوفين بجمعه

* العامري، الأمد على الأبد، ص 76. كما يذهب العامري إلى أن أفلاطون كان يقول: إنكم إن عرفتم كل شيء، فلا تحسبوا أنكم عرفتم شيئا ما لم تعرفوا الله عز وجل، كما أن أرسطو كان يقول: كنت قبل اليوم أشرب وأظمأ، حتى إذا عرفت الله عز وجل فرويت بلا شرب.

† العامري، الأمد على الأبد، ص 71.

بين الحكمة والعلوم الطبيعية والعلوم الرياضية، وقد أشار إلى كتبه غير أنه وصفها بأنها ملغزة منغلقة، كما ذكر أنه قد تخرج على يديه كثير من التلاميذ، وفقد فوض إليهم التعليم في المدرسة. أما هو فقد التزم التجرد لعبادة ربه في أخريات حياته*.ومن هنا فأفلاطون إذن في رأي العامري كان يعترف بوجود الصانع الحكيم، ومن ثم فهو من الذين يستحقون بأن يوصفوا بصفة الحكمة، حيث من غير معرفته بالموجد لا يستحق أحد عند العامري أن يوصف بالحكمة.

ولكي يؤكد العامري حقيقة معرفة أفلاطون بالله الواحد موجد الكون يذكر قصة ليثبت فيها اتصال أفلاطون ببني إسرائيل وتلقيه عقيدة التوحيد عنهم، بل يؤكد على اتصال الشعب اليوناني كله ببني إسرائيل، عندما يذكر تلك القصة: حيث إنه قد حدث وباء في بلاد اليونان في عهد أفلاطون، فسألوا أحد أنبياء بني إسرائيل عن سببه، فأوحى الله إلى ذلك النبي أنهم إذا ضعفوا مذبحاً (جعلوه ضعفين) كان لهم على شكل مكعب ارتفع عنهم الوباء، فابتنوا مذبحاً مثله، وأضافوه إليه، فازداد الوباء، فعادوا إلى النبي وسألوه عن سببه، فأوحى الله إليه بأنهم لم يضعفوه، بل قربوا إليه آخر مثله، وليس هذا بتضعيف للمكعب، فاستعانوا بأفلاطون، فقال لهم إنكم كنتم تحاربون الحكمة، وتنفرون الناس من علم الهندسة، فابتلاكم الله بالوباء عقوبة على صنيعكم؛ لأن للعلوم الحكمية عند الله مقداراً عظيماً، ثم ألقى على تلاميذه بأنه متى أمكنكم استخراج خطين بين خطين على نسبة متواترة، توصلتم إلى تضعيف المذبح، فلما أخذوا بنصيحة أفلاطون وتمموا العمل ارتفع الوباء. ومن هنا توقفوا عن ذم الهندسة وسائر العلوم النظرية"[†]. والعامري إنما أراد بذكره لهذه القصة إثبات أن العلوم الفلسفية حتى الرياضيات إنما مصدرها الوحي الإلهي. كما إنه يظهر أن أفلاطون كان على وفاق مع نصيحة النبي الإسرائيلي، بل إنه كان الوحيد الذي فهم مقصود الوحي حين أرشدهم إلى كيفية تضعيف المذبح. وكل ذلك ليؤكد العامري أن

---

* العامري. الأمد على الأبد، ص72.

† العامري. السابق، ص 73.

أفلاطون قد اتصل بالوحي السماوي وأخذ عنه توحيد الله ومعرفة مراده في الكون. ولو أمكن إثبات صحة هذه القصة لكان الفلاسفة اليونان بعد وقبل أفلاطون على صلة حقيقة مع الوحي، أو على الأقل مع من يتبع الوحي والنبوة من بني إسرائيل. ولكن مؤلفات الفلاسفة اليونانيين تظهر أن هؤلاء كانوا يبحثون عن الإله الموجد، لكنهم لم يبرهنوا على صفاته التي عددها الوحي سواء عند بني إسرائيل أو غيرهم، مما يجعلنا نتوقف في قبول رأي العامري هذا.

ويواصل العامري حديثة عن فلاسفة اليونان على هذه الوتيرة التي تثبت صلتهم بالدين السماوي، فيتناول أرسطو الذي عاش ما بين عام 384ق. م، و 3322 ق.م. وقد كان تلميذاً لأفلاطون. ويعطي العامري معلومات دقيقة عن هذا الفيلسوف، فيذكر أنه تتلمذ على يد أفلاطون، وقد لازمه قرابة من عشرين سنة*. وكان أرسطو مشهوراً بين زملائه منذ حداثة سنه بلقب الروحاني، كما كان أستاذه أفلاطون يسميه (عقلاً) وهو الذي صنف المباحث المنطقية وجعلها آلة للعلوم حتى لقب بصاحب المنطق. كما أنه رتب الكتب الطبيعية والكتب الإلهية، وجعلها كتباً على حدة. وفي أيامه استتب الملك لذي القرنين وانقمع به الشرك في بلاد اليونان†. وكأن مجهود أرسطو كلل بقمع الشرك بواسطة هذا الملك المؤمن.

ويعلق العامري بعد أن سرد سيرة هؤلاء الفلاسفة، فيذكر أهم هؤلاء الفلاسفة فقط، وهم أولئك الذين يستحقون أن يوصفوا بالحكمة؛ نظراً لجمعهم العلوم الفلسفية، وعلى رأسها العلم الإلهي. أما من اشتهر من القدماء بعلم واحد أو أكثر من هذه العلوم ولم يضف إليها العلم الإلهي فلم يكن يستحق من معاصريه أن يصفوه بأنه حكيم، بل كان ينسب إلى العلم الذي برع فيه أو إلى صفة خاصة به من مثل بقراط الطبيب وأوميروس الشاعر وأرشميدس المهندس وديوجانس الكلبي وديموقريطس الطبيعي. ويذكر العامري أنه حين كثرت تصانيف

---

* وورنر ريكس، فلاسفة الإغريق، ص 136.

† العامري، الأمد على الأبد، ص 74.

جالينيوس في عصره أراد أن يصفه الناس بوصف الحكمة بدلاً من وصفه بالطبيب، فسخر منه الناس" وقالوا عليك بالمراهم والمسهلات وعلاج القروح والحميات! فإن الحكمة الإلهية أدق مأخذاً من أن يقف عليها من يتريب في معالمها، فإن من شهد على نفسه بأنه شاك في العالم أقديم هو أم حادث، وفي المعاد أحق هو أم باطل، وفي النفس أجوهر هي أم عرض، لم تضعه درجته من أن يسمى حكيماً" * كل ذلك ليثبت العامري أن الفيلسوف لا يوصف بهذا اللقب إلا بعد أن يستخدم ما وصل إليه من علم للدفاع عن الموجد، ولا يستطيع أن يدافع عن الصانع إلا من آمن به من غير شك أو ريبة.

ثم ينتقد العامري معاصريه الذين يتطوعون بأن يصفوا الناس بالحكمة وهم لا يستحقون هذا الوصف؛ حيث إنهم بعيدون عن تلك الحكمة؛ لشكهم في الله الواحد الأحد من جانب، ومن جانب آخر نظرتهم المريبة لمبحث الإلهيات والوحي. ويعبر العامري عن غيظه من أولئك الذين يحبون أن يوصفوا بهذا الوصف لمجرد قراءتهم لكتاب إقليدس، وإن كانوا خلوا من معرفة العلوم الإلهية. و يخص بالذكر منهم محمد بن زكريا الرازي الطبيب الذي يحب أن يُلقب بالحكيم مع فساد عقيدته †. ويستشهد على ما ذهب إليه برأي أستاذه أبى زيد البلخي، فيقول: ولقد كان شيخنا أبو زيد أحمد بن سهل البلخي رحمه الله مع توسعه في أصناف المعارف واستقامة طريقته في أبواب الدين، متى نسبه أحد من موقريه إلى الحكمة يشمئز منه ويقول: لهفي على زمان ينسب فيه ناقص مثلي إلى شرف الحكمة، كأنهم لم يسمعوا قول الله تعالى "يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ" ‡، وهذا حال أستاذه يعقوب بن إسحاق الكندي" §.

---

* العامري، الأمد على الأبد ، ص 74، 75.

† العامري، السابق ص 75.

‡ سورة البقرة، آية 269.

§ العامري، الأمد على الأبد، ص 75.

لم يكتف العامري بأن يثبت أن لقب الحكمة لا يستحقه إلا من كان له بحث واعتقاد حول وجود الله، وأن هذا اللقب لا يستحقه من اكتفى بدراسة ومعرفة فرع من فروع العلوم الفلسفية، ومن ثم لم يؤمن بأن الحكمة والشريعة صنوان، أقول: ولم يكتف العامري بذلك، بل يذهب إلى أن مصدر الشريعة والحكمة واحد هو الوحي، بدليل أن أول من وصف بالحكمة التي أتاها الله إياه هو لقمان وهو الذي علم أول فلاسفة الإغريق هذه الحكمة*. ثم قام بشرح مذاهب الفلاسفة اليونانيين بدقة وإيجاز ليبين صلة هؤلاء الفلاسفة بالإلهيات وأنهم جميعاً يؤمنون بالموجد الواحد.

ويبدأ بمذهب الفيلسوف انباذقليس في صفات الله، فيقول: إن الباري عند هذا الفيلسوف، موصوف بالوحدانية المطلقة، وأنه هو الذي خلق الكون، غير أن له صفات من وجهة النظر الإنسانية، أي أن الإنسان هو الذي قال بهذه الصفات للباري، وإن لم توجد معان متعددة لهذه الصفات في ذاته، فهو تعالى" وان وصف بالعلم والوجود والإرادة والقدرة فليس هو ذو معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة. لكن دائماً نقول لكل واحد من موجودات العالم إنها معلومة ومقدورة ومراده وفيض جوده من غير أن نثبت فيه معاني شتى"†. بمعنى أن الله عنده واحد، لكن الإنسان لا يفهم تلك الوحدة إلا من خلال ما يفيض عن تلك الوحدانية من صفات الكمال والقدرة وغيرها، ومن هنا ربما يشتبه على الإنسان أن الذات العلية متعددة لكونه متعدد الصفات. غير أن "مذهب أنباذقليس في صفات الباري عز وجل أنه وصف بالعلم والوجود والإرادة والقدرة، فليس هو ذو معان متميزة تختص بهذه الأسماء المختلفة، لكن دائما نقول لكل واحد من موجودات العالم أنه معلومه ومقدوره ومراده وفيض جوده من غير أن نثبت فيه معاني شتى، كذا نصف موجدَها بالعلم والجود والإرادة والقدرة وإن كان أحادياً"‡. وبالتالي فإن تعدد الصفات لا يعني التعدد للذات العلية.

---

* العامري، الأمد على الأبد، ص 70.

† العامري، السابق، ص 78.

‡ العامري، الأمد على الأبد، ص 78.

ولأن وجود الله مختلف عن وجود العالم، فالعالم مصنوع وهو غير مصنوع، فإن وحدانيته لا تشبه أي وحدانية كونية، "فالوحدانية العالمية يقصد الكونية قابلة للتكثر إما بأجزائها وإما بمعانيها وإما بنظائرها، وذاته متعال عن هذا، فهو إذا إن صلح أن يوصف بالعلم والجود والقدرة والإرادة، فإن أخص صفاته أنه حق بذاته وحكيم، وأن معنى الحكيم هو أنه موجد لكل شيء على أتم ما يليق به من الغرض"*. وعلى الرغم من فهم العامري الدقيق لهذا الفيلسوف فهناك من الغربيين من يقول إن انبادقليس هذا قد ادعى الإلهية اعتماداً على كلامه في قصيدة (التطهيرات) إذ يقول في تلك القصيدة: " إنني أتجول بينكم كإله سرمدي ليس فانياً الآن ممجداً بين الكل بما يناسبه"†. وإن كان النص السابق لا يدل على إدعاء الإلهية بقدر ما يدل على خيال الفيلسوف في معاني الإلهية، وتجليات صفات الباري في الكون والإنسان، وحيث إن هذا الفيلسوف قريب من استقبال تجليات الحق كان يقول بما ورد في قصيدته مثلما كان يفعل الصوفية في أحوال السكر، التي كانوا يغيبون فيها عن ذواتهم ليتحدوا مع الله المحبوب والكنز المخفي.

والعامري – لو لم يكن محايداً– كان يمكنه أن يقول بأن هذا الفيلسوف يدعي الإلهية، مما يقلل من شأن اليونانيين والعقلية اليونانية، لكنه قرأ النص في ضوء التسامح مع الآخر والبحث عما فيه من ميزات، وهذا ما يجعل العامري بعد مدح هذا الفيلسوف واستنباط مذهبه الديني يختلف معه في مسألة المعاد، فيقول: ثم إنه من بعد اعترافه بهذه الجملة الحسنة قد خلط بشأن المعاد"، حيث إن جوهر النفس عنده ذو معنيين: أحدهما الطبع والآخر العقل. فقد يتفق له حالة بحسب الطبع فيؤدي أفعاله بحسب المحبة، وقد يتفق له حالة بحسب العقل فيؤدي أفعاله بحسب الغلبة، ولكل واحدة من الحالتين مدة مساوية لصاحبتها، وهكذا يظل الإنسان متقلباً بين المحبة وهي النظام، والغلبة وهي الفوضى. هكذا أبداً دون

---

* العامري المرجع السابق، ص 79.

† وورنر ريكس، فلاسفة الإغريق، ص 38.

انقطاع. ويعلق العامري على هذه النظرية بأنه ليس هناك حجج عقلية تسندها، ويتفق كلام العامري هنا مع ما ذهب إليه الباحثون المحدثون*، ليظهر فكر العامري ومنهجه الذي كان يقوم على الحيدة والموضعية وحسن الظن بهؤلاء الفلاسفة، فقط لكونهم حاولوا أن يعرفوا موجد الكون، ورغم أن آراءهم في الإلهيات لا ترقى بالفعل للتصديق بأنهم ممن اتبعوا وحياً سماوياً فإن العامري يبرز تقاربهم مع هذا الوحي بشتى الطرق.

ثم يواصل العامري بحث مسألة صفات الله عند اليونانيين، وإن جاءت كلماته موجزة في ذلك؛ لأن غرضه ليس بحث الإيمان في الفلسفة اليونانية، بقدر إثبات أن اليونانيين لم يكونوا على خلاف مع الحكمة الإلهية. فيذهب العامري إلى أن فيثاغورث قد وافق أنباذقليس في صفات الباري، أي أن صفات المعاني الإلهية وتعددها لا تؤثر في الوحدانية المطلقة، غير أنه يخالف أنباذقليس في أن حكمة الخالق تعالى هي الأساس في كونه حقاً، حيث إن الحكمة قبل الحق وبها يصير الحق حقاً†. كما خالفه في أمر المعاد. "فإن المشهور من مذهبه أنه كان يقول بأن العالم بكليته منقسم إلى اثني عشر قسماً:أربعة منها هي الأجرام السفلية- أعني الأرض والماء والهواء والنار- وثمانية هي الأجرام العلوية، أعني - السماوات السبع والكرسي المحيط بها، وأن فوق هذا العالم عالماً نورانياً لا تدرك العقول حسنه وبهاءه، وإليه تشتاق الأنفس الزكية، وأن كل قسم من هذه الأقسام منضود تحت القسم الذي يعلوه"‡.

ثم أخذ العامري يبحث عن طبيعة النفس الإنسانية بين هذه الأجرام عند فيثاغورث ليرى أن الإنسان "إذا أحسن تقويم نفسه بالتبرؤ من العجب والتجبر والمراءاة والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية فقد صار مستأهلاً لأن يصير في أعلى أقسامها، فيطلع إلى ما شاع في جواهر العالم من الحكمة الإلهية. ومتى

* انظر ووزنر ريكس، فلاسفة الإغريق، ص 40.

† العامري، الأمد على الأبد، ص 80.

‡ العامري، السابق، ص 80.

سعد بذلك فقد نال السرور والحق والعز"*. ليس هذا فحسب بل يذهب العامري إلى أن سقراط وافق فيثاغورث في هذا إلا في نكتتين كما يقول: الأولى هي أن وصف حكيم متعلق بوصف الباري بأنه حق؛ لأن الحق قبل الحكمة†. والثانية هي أن السماء في النشأة الثانية تصير بلا كوكب، "وثباتها يكمن في سرعة حركات الأفلاك الحاملة لها وكل متحرك فهو إلى سكون ما ومهما سكنت الأفلاك عن دورانها فإن كواكبها تتناثر فتصير محيطة بالأرض، متصلاً بعضها ببعض كالدائرة الملتهبة، وإن كل نفس كانت دنسة شريرة فإنها تبقى في هذه الأرض المحاطة باللهب، وتصير السماء للأنفس الزكية كالأرض، وتصير سماؤهم سماءً نورانية، وهناك يكون الحسن المحض واللذة المحضة"‡. فالعامري كما هو واضح هنا يرى أن فيثاغورث يقول بالسعادة الروحية، وبالتعاسة الروحية للمعاد، في حين أن أنباذقليس يقول بتعاور الأدوار في منهج المحبة والغلبة.

يتضح من خلال ما سبق أن أفكار العامري عن مذهب فيثاغورث قد تجاوزت عصره بكثير، بل ربما يعرف عن هذا الفيلسوف أكثر مما يعرف الغربيون المحدثون عنه، أو لعل هؤلاء الغربيين قد عرفوه جيداً، لكن نزعتهم المتعالية التي ترفض أي مصدر للفلسفة اليونانية منعتهم من أن يثبتوا الحقيقة التي رأوها عند غيرهم، وذلك حتى يظل للفكر اليوناني أولويته العالمية، فكل حقيقة عن هذا الفيلسوف في نظر الغربيين المحدثين هي محل شك دائماً. فلا يهتم الغربيون بالمبدأ الديني الفعلي لفيثاغورث ويؤولون ما يمكن فهمه من مذهبه على أنه عرف ديناً من الأديان ليبدو في نظرهم كأنه كان يؤمن بمبدأ تناسخ الأرواح أو ولادتها من جديد. كما أنهم يؤولون مسألة كفه وأتباعه عن أكل لحم الحيوان على أساس أن هذا مصدره عند الغربيين أن هناك قرابة بين

* العامري، الأمد على الأبد، ص 80، 81.
† العامري، المرجع السابق، ص 81.
‡ العامري، المرجع السابق ، ص 81.

الآدميين والحيوانات. ومع ذلك فمن المتعذر القول إن هذا الاعتقاد مأخوذ من المفاهيم العامة البدائية عن التحريم*. وكل ذلك لكي لا تظهر آثار الوحي الشرقي عند اليونانيين، حتى لو كانت تلك الآثار مجرد توافقات من غير تأثير مباشر بين الوحي الشرقي والدين الغربي. لكن المعاصرين من دارسي الفلسفة الغربية يخفون- ربما- عن قصد تلك الملاحظات أو هذه اللقطات التي توحي بأنه ثمة صلة بين الوحي -كما كان يعرفه الشرقيون- وبين الفلسفة اليونانية، حتى لا يدعي الشرقيون أنهم قد سبقوا الغربيين بفكرة ما، مع أن العلم والفكر ليس حكراً على أمة أو طائفة بشرية بعينها.

العامري بذل جهداً كبيراً لإثبات أن الفلاسفة اليونانيين كانوا على صلة بالوحي الشرقي وبأتباع الوحي من الشرقيين، ليس بغية القول إن الشرق أصل كل الأفكار أو ليعلي الشرقيين على الغربيين، فلم يكن ذلك من هدفه. إنما كان غرضه أن يبرز أن التواصل الإنساني بين شعوب الأرض قائم، بل وليدعو الشرقيين للاستفادة من الغربيين وعلومهم، حيث إن هذه العلوم ما هي إلا تراث إنساني، وحق لجميع البشر شرقيين وغربيين، ومن أجل تقريب ذلك لهم أراد أن يثبت أن الفلاسفة اليونانيين ليسوا على خلاف مع أهم ما يؤمن به الشرقيون وهو الدين والوحي الإلهي.

فيذهب العامري إلى أن كلاً من سقراط وفيثاغورث قد اقتربا من معاني الوحي الشرقية في مسألة النعيم والشقاء الروحانيين وصلتهما بمذهبهما الإلهي. فسقراط قد وافق فيثاغورث فيما ذكره عن النعيم والشقاء الروحانيين، وأن التخلق بالأخلاق الحميدة هو الكفيل بالسمو والارتفاع إلى عالم الأنوار، غير أنه خالفه في موضوعين: أولهما أن مفهوم الحق عند سقراط هو أساس الحكمة، وليس العكس كما ذهب فيثاغورث، وذلك فيما يخص الذات الإلهية. وثانيهما أن المعاد والبعث أو النشأة الثانية تتوقف فيها الأفلاك عن الدوران، ومن هنا تتناثر الكواكب وتصبح محيطة بالأرض، متصلاً بعضها ببعض في دائرة ملتهبة،

* انظر وورنر ريكس، فلاسفة الإغريق، ص 23.

والأنفس الزكية تصعد إلى السماء. أما الأنفس الرديئة فإنها تبقى في الأرض المحيطة باللهب. وما زاده سقراط هنا هو انتفاء الواسطة بين الإنسان والله تعالى، فلكل "إنسان شرف اقتناء الحكمة الخالصة فقد صار محتوياً على الخيرية المطلقة، وأعلى درجات العبد في الخيرية هو أن يكتفي بمولاه الحق عز اسمه عن الواسطة بينه وبين مولاه"*. وهذا هو جوهر التوحيد وأساسه المتين.

ويستخدم العامري كل الوسائل ليستبين من خلالها موقف الفلاسفة اليونانيين من الدين، وكيف تكون طبيعة اعتقادهم بوجود إله مهيمن على الكون، ولهذا نراه يسير في حديثه عن فلاسفة اليونان مع ما يراه موافقاً لمنهجه الذي اختطه وهو إظهار تقارب هؤلاء الفلاسفة مع الدين السماوي، بل تكاد تكون تلك هي فكرته الرئيسة في كتابه الأمد على الأبد. وكما يُظهر العامري تناقض أفلاطون في مسالة قدم العالم وحدوثه عبر تلميذه أرسطاطاليس، لكنه يعود يذكر أن العالم عند هذين الفيلسوفين جاء من لدن خالق واحد، فالمبدع لهما هو الذي صرف العالم من "لا نظام إلى نظام أي من العدم إلى الوجود"†.

وفي الحقيقة إن المؤرخين الغربيين للفلسفة اليونانية يجمعون على أن الفكر اليوناني السابق على أفلاطون كان يسير في تيارين رئيسيين "أحدهما يؤدي إلى فلسفة ذات طابع صوفي انفعالي، والآخر –على كثرة تشعباته– ينطوي على أول بذور التفكير العلمي والنزعة التجريبية، فهناك من جهة ذلك التيار الفيثاغوري الذي استند إلى المدرسة الإيلية عند زينون وبارمنيدس والذي تأثر به سقراط تأثراً عميقاً، وهناك من جهة أخرى ذلك التيار المادي الآلي الذي مهد له الطبيعيون الأولون، وبلغ قمته في فلسفة ديمقريطس وليوقيبوس، ويذهب بيير مكسيم شول إلى أن أفلاطون قد تأثر بهذين التيارين معاً وعرف كيف يجمع بينهما‡. وبذلك "لم يعرف العصر اليوناني القديم روحاً قادرة على الجمع –على

---

* العامري، الأمد على الأبد، ص 82.

† العامري، المرجع السابق، ص 83.

‡ د. فؤاد زكريا، مقدمة ترجمة جمهورية أفلاطون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1985،

نحو ما فعل أفلاطون – بين أدق سمات العلم وبين الحماسة الصوفية الممتزجة بالخيال"*. ولقد صرح بذلك في كتابه النواميس "بأن للعالم بدءاً علياً وليس له بدء زماني، أي له فاعل قد اخترعه لا في زمان...... لأنه مريد بذاته لإفاضة جوده وقادر على إيجاد ما أراد"†. وفيما يخص قضية قدم النفس وحدوثها فقد تردد أفلاطون بين هذين الرأيين، ففي كتابه المنسوب إلى "فاذن" يذهب إلى أن جوهر النفس غير مكون وأنه لا يموت، أما في كتابه "طيماوس" فيذهب إلى أن جوهر النفس مكون وأنه ميت وغير دائم"‡. وبذلك ليس هناك دوام إلا لموجد تلك النفس وباريها والذي كتب الفناء على ما سواه.

ومما سبق يتضح كيف حاول العامري أن يثبت بكل وسيلة أن الفلاسفة اليونانيين كانوا يؤمنون بموجد للعالم وصانع له، وهذا الموجد يتصف بصفات الكمال والجلال، وهو ما يوافقهم فيه الدين الإسلامي، وهم وإن لم يكونوا على صلة بالدين السماوي مباشرة فإن فطرتهم السليمة وعقولهم الناضجة القوية مكنتهم أن يعرفوا الباري ويصفوه بما يوافق الوحي السماوي، أو أنهم –حسب رأيه– بالفعل قد تعلموا من أتباع الديانات السماوية، وبخاصة أنبياء بني إسرائيل وبصفة أخص أتباع النبي سليمان ابن النبي الكريم داود الحكيم عليهما السلام " وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ"§.

فهذه كانت محاولة العامري في تلك النقطة وتلك المحاولة خطى بها الفلاسفة المسلمون خطوات بعيدة، فاستمرت تلك المحاولة تأخذ طريقها إلى الحقل المعرفي الإسلامي بدءًا من رسالة الكندي في الفلسفة الأولى التي سطرها إلى المعتصم والتي كان غرضه منها أن يبين أهمية وغرض الفلسفة وأنها تتفق مع

ص 112-113.

* المرجع السابق، ص 113.

† العامري، الأمد على الأبد، ص 84.

‡ العامري، المرجع السابق، ص 84.

§ سورة ص، آية 20.

الحق وهو الدين. ثم استمر الحال عند الفارابي وكذلك ابن سينا وابن طفيل في حي بن يقظان، التي تؤكد صلة الإلهام الإشراقي الباطني مع الوحي السماوي الظاهري، وابن باجة في تدبير المتوحد، وابن رشد في فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال.

كما يتضح أن العامري كان مولعاً بما أنتجه العقل اليوناني من الحكمة، وحاول أن يوفق بين هذا المنتج العقلي وبين دينه من تلك الزاوية، وكشف عن إمكانية الإفادة من الآخر، دون أن يأخذ مجمل أحكامه أو كل أفكاره، كل ذلك في ثبات الفيلسوف وحجة الفقيه وقدرة المنطقي. وإن شابه بعض التعسف لإثبات ذلك عبر شرح وتفسير بعض كلمات اليونانيين، لكن يكفي هذا الفيلسوف الكبير شرف المحاولة العقلية الجادة من جانب، والنظرة المتسامحة للآخر من جانب ثان. خاصة أن من بيننا اليوم من لا يرى في منتج العقل الغربي إلا بغضاً للدين واحتقاراً للوحي. وسوف يحاول الباحث أن يبرز فهم العامري للعلاقة بين الفلسفة اليونانية والوحي الديني في المبحث القادم.